ذلك فهو مركب سائل مع أن عنصريه الأوليين غازيان ، وله مذاق خاص لا تجده فى الأوكسجين أو الإيدروجين ، وإنما جاءته تلك الخواص من عملية التركيب والتفاعل ذاتها .

وما يصح فى علوم المادة يصح أيضًا فى الأدب والفنون فقد نستطيع أن نحلل المسرحية إلى عناصرها من حوار وأحداث وصراع وشخصيات ، ومع ذلك لا ندرك قدرتها على التأثير فى النفوس مالم نعرض لها- كمركب متكامل- صفحة روحنا ، وذلك لأن تركيب هذه العناصر بنسبها المحددة بعضها مع بعض هو الذى يولد قدرتها على التأثير ويحدد نوعية هذه القدرة ، وهكذا يقضى العلم الذى لا مفر من أحكامه الحتمية - بأنه لا مفر من الاعتماد على التأثرية فى إدراك حقيقة العمل الأدبى أو الفنى وقدرته أو عجزه عن التأثير فى الناس على نحو معين ، وهذا هو الهدف النهائى لكل أديب أو فنان ، قد يحققه أو يخطئه التوفيق فى تحقيقه .

وإذن فالتأثرية مرحلة أولى وجوهرية فى النقد الأدبى أو الفنى ، وإنما أسرف التأثريون عندما ظنوا أن تلك التأثرية يمكن أن تصبح منهجًا نقديًا مكتفيًا بذاته ويمكن الوقوف عنده . فقراء مثل هذا الناقد لا يستطيعون الإفادة من نقده ما ظل ذاتيا خالصًا ، ولابد للناقد التأثرى من أن يعتبر تأثريته مرحلة أولى يجب أن يتبعها بمرحلة أخرى موضوعية يستطيع تحقيقها بأن يحاول تبرير انطباعاته وتفسيرها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، بحيث تصبح انطباعاته الخاصة وسيلة إلى المعرفة التى يمكن أن تصح لدى الغير فيقتنع بها ، فهنا يلجأ طبعًا إلى مبادىء وأصول الفن الذى ينقده ، لكى يستطيع تبرير انطباعاته بحجج عقلية باعتبار أن العقل هو أعدل